التحريض السياسي في شعر ملوك الأندلس وقادتها من الفتح إلى نهاية عصر الموحدين(٩٢هـ_٦٤١هـ)

م.م علي فايز هاشم

أ.د خالد عبد الكاظم عذاري

جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

المستخلص:

يتناول البحث الحديث عن التحريض السياسي عند حكّام الأندلس الشعراء, وما تضمّنه خطابهم الشعري من قضايا تفضي إلى محاولات ترسيخ السياسة المخصوصة, وإرساء قواعد النظام الخاص بملكهم في الأندلس, ليتبيّن لنا وجها لامعا من أوجه الحضارة والثقافة في الأندلس.

الكلمات المفتاحية: التحريض, السياسة, شِعرملوك الأندلس.

Political Provocation in the Poetry of the Monarchs and Leaders of Andalusia from the Conquest until the End of the Almohad Era (92 AH - 641 AH)

Prof. Dr. Khaled Abdul-Kazem Adhari

Asst. Lect. Ali Fayez Hashem

University of Basrah, College of Education for Human Sciences, Dept. of Arabic Language

Abstract

This research examines the contemporary political provocations of the poetic monarchs and leaders of Andalusia and the themes within their poetic discourse that aimed to solidify a particular policy and establish the foundations of their unique governance system in Andalusia, thereby illuminating the vibrant aspects of civilization and culture in the region.

Keywords: Provocation, Politics, Poetic Monarchs

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد 2- المجلد 50- حزيران لسنة 2025

البحث:

إنّ مصطلح التحريض مفهوم أدائي يتمظهر أدبيّا في شعر الشعراء عبر أسلوبين مخصوصين, الأول تقع آياته ضمن التصريح والمباشرة للقضايا التي يُحرَّضُ عليها عبر أفعال الأمر والنهي, والثاني الأسلوب غير المباشر عبر إلماحات وشذرات مبثوثة في النصّ الشعري يتوجه بها الشاعر للمخاطب ضمن دوافع وآليات مختلفة, لذا لابدّ من بيان بعض ما يتضمّنه المفهوم من معان تحيل إلى فهم المراد من التحريض.

فالتحريض في اللغة هو التحضيض[١], أي الحضّ على شيء بقوة, مع شيء من التأكيد عليه؛ إذ أنّ حرّضه حضّه , والحض هو الحث[٢], أو هو ضرب منه[٣]. والتحريض في الشعر هو ((حثُّ الآخرين وحضّهم على سلوك طريق أو اتخاذ قرار يريده الشاعر, سواءً أكان مدفوعا للموضوع من تلقاء نفسه أم محكوما بتوجّهات وأفكار يريد منها الشاعر أن يغيّر سياسة, أو ينال من أشخاص, أو كسب مغانم, وقد يأخذ التحريض معان عدّة يعبّر الشاعر عنها تبعا للمفردات الحياتية))[٤], لذا يمكن عدّ الأشعار التي تتضمّن حثّاً_مباشراً أو غير مباشر_ علي شيء معيّن تحريضاً يتبع موضوعاً مخصوصاً يريد الشاعر عبره تحصيل المراد واكتساب ما يصبو إليه من ذلك التحريض.

إنّ الشعر شريان الحياة في الأندلس, تمَّ لأهلها مسوّغات القول فيه, والتغنّي به, في أغراضٍ شتّى, وأحوالٍ مختلفة, وخير شاهد على ذلك ما ذكره الحموي في قوله: ((قلَّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا, ولا يعاني أدبا, ولو مررتَ بالفلّاح خلف فدّانه, وسألته عن الشعر قرضَ من ساعته ما اقترحت عليه, وأيَّ معنى طلبتَ منه))[٥], والشعر لم يكن أبدا عملا سهلا أو ساذجا, بل فيه من التعقيد شيء كبير, وقديما اتفق العرب مع اليونان في أنّ الشعر صناعة معقّدة تخضع لقواعد دقيقة, لا ينحرف عنها إلّا ليُضاف لها[٦]، ونجد هذا المعنى عند أبي عثمان الجاحظ بقوله: ((الشعر صناعة ... وجنس من التصوير))[٧]، ثم تَفصّلَ ذلك عند ابي الفرج قدامة بقوله: ((إنّ المعاني كلّها مُعرَّضة للشاعر, وله أن يتكلم فيما أحبَّ وآثر, من غير أن يحضر عليه معنى يروم الكلام فيه إذ كانت المعاني للشعر بمنزله المادة الموضوعة... كما يوجد في كلِّ صناعة من أنّه لابدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور فيها))[٨]، والأندلسيون برعوا في تلك الصناعة وذلك التصوير, لاسيما في تمظهرات السياسة ومجالات الحكم فيها, فمعروف أنّ الشعر محتاز على قيم جمالية لكنه في الوقت ذاته يحمل عبء وظائف أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية[٩] يحاول الشاعر فيها المعالجة أو التعريض أو التنويه, بغية تحصيل المنفعة الفردية أو الجماعية؛ لأنَّ الشعر فنٌّ من الفنون التي تكون فحواها نقل الإنسان أحاسيسه التي عاشها للآخرين فتنتقل عدواها إليهم ايضا فيعيشونها[١٠], ومن ثمّ يُراد لها هدف متبوع لموضوع معيّن, سياسي أو اجتماعي أو غيره.

وقد كان الوضع السياسي العام في الاندلس متخامرا بين الاستقرار والاضطراب, بين الهناءة والتعاسة, فكان الشعر مرافقا لهذه الحالات, ومصوِّرا لها, وبما أنّ الشعر صناعة فإنّ من بعض أركانها الشاخصة هو (التحريض), لاسيما "التحريض السياسي" الذي يُبيّن قَسَمات الحالة السياسية بما هي كائنة, أو كيف ستكون, أو بما يُفترض أن تكون عليه, لتُرتَسم بعد ذلك واقعيات العيش في معظم أماكن الحكم, وزمانات الأنظمة الحاكمة.

ولعلّ أوّل مصداق للتحريض في الشعر الأندلسي نطالعه في الأبيات المنسوبة لطارق بن زياد أيام فتح الأندلس, يقول: (الطويل)

ركـــــبنا سفيناً بالمجازِ مُقيَّراً عسى أنْ يكونَ اللهُ منَّا قَـد اشترى

نُفوســـــاً وأموالاً وأهـلاً بجنَّةٍ إذا مـا اشْتَهَيْنا الشيءَ فـيهِ تَيسَّرا

ولَسْنا نُبالي كـيفَ سالتْ نُفوسُنا إذا نحنُ أدرَكْنا الذي كـــانَ أجدرا[١١]

في الأبيات عزف على وتر مُحبّب للنفوس, فبإزاء التحريض على المواجهة, هناك تفصيلات عقائدية تتمظهر فيما سيناله المجاهدون بعد ذلك من الجنّة, وما فيها من المشتهيات, فضلا عن أنّ الناظر إلى طرفي المعركة بين جيش طارق بن زياد وجيوش "لذريق" قد يدخل في قلبه الشفقة على المسلمين, الذين لا يتعدّى عددهم الاثني عشر الفا, وهم يواجهون مائة ألف كاملة[١٢], فكان من الضروري أن يُقدِّم طارق أسلوبا تحريضيا يُحبِّب إلى نفوس أفراد جيشه ما يُعلي هِمّتهم، ويشدّ أزرهم, فكانت التفصيلات العقائدية المجزية خير عون له في ذلك, ويمكن تشخيص التحريض عبر ما تضمّنه البيت الأول من إشارة للاستعداد للحرب والقتال, ما يعكس روح الجهاد والمغامرة من أجل قضية سياسية ودينية في الآن نفسه, لاسيما في تضمينه معنى قوله تعالى: ((إِنَّ اللهَ قَدْ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلونَ وَيُقْتَلونَ وَعْدَاً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ والقُرْآنِ فَاسْتَبْشِروا بِبَيْعِكُمُ الّذِي بَايَعْتُم بِه وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمِ))[١٣], وهذا التضمين القرآني ممّا يُعزّز معاني التحريض ويقوّي أسلوبه؛ فحين يحتاز الخطاب مضامين عقائدية يستشرف المُنشئ استجابة مُثلى للتحريض, وبذلك يتحقّق المُراد السياسي الذي تجلبلب بالشريعة والدّين. أمّا البيت الثاني فهو استكمال لمضامين تلك الآية الشريفة التي وَعَدَتْ بـ الفوز العظيم, ومفردات ذلك الفوز أظهرها الشاعر بمعاني الجنّة وما تشتهيه الأنفس من اللّذات والأُعطيات, ليمهّد للبيت الثالث في تناول الموضوع المُراد بشكلٍ قطعيٍّ حينما يحثّ السامع على بذل النفوس _الموت_ بغية تحقيق ذلك المراد. وعلى كلّ حال فقد كانت هذه الأبيات تتمّة لخطبة حرّض فيها طارق جندَه على الصبر, ووعدهم الخير الجزيل ما انبسطت له نفوسهم[١٤], فكانت هناك استجابة مثلى لذلك التحريض, بان استمرّوْا بالقتال, وظَفَروا بالنصر على الأعداء, ليتبيّن أنّ ذلك التحريض يدخل ضمن التحريض الايجابي بكامل دوافعه ونتائجه.

وكان عهد الفتح (٩٢ هـ _ ١٣٨ هـ) عهد اضطراب وصراع, وقد نيّف عدد الولاة في هذه الفترة من الزمن بضعةً وعشرين واليا, قام كلُّ والٍ يتزعّم عصبية, ويناصر ذويه متحاملا على الآخرين, لاسيما في التنازع الحاصل بين "القيسيين واليمنيين"[١٥], من ذلك ما نطالعه من أبيات لأبي الخطّار "الحسام بن ضرار الكلبيّ" يحرّض فيها على القيسيين, يقول : (الطويل)

أفأنْتُمْ بني مروانَ قيساً دِماءَنا وفي اللهِ _إنْ لم تُنصفوا_ حَكَمٌ عَدْلُ

كأنّكم لم تَشْهدوا مَرْجَ راهـــطٍ ولم تعلموا مَـنْ كـانَ ثَمَّ لهُ الفضلُ

وَقَيْناكُـمُ حـرَّ القـنا بِنُـحورِنا ولَيْسَ لَـــكم خَـيلٌ سـوانا ولا رَجْلُ

فَلمَّا بَلَغْتمْ نيلَ مـا قـد أردتُمُ وطـــابَ لَـكم مِنَّا المشارِبُ والأكلُ

تَعاميْتُمُ عَـــنَّا بِـعينٍ جَـليَّةٍ وأنتمْ كَذا مـــا قَـــد عَلِمنا لها فِعْلُ

فلا تأمَنوا إنْ دَارتِ الحربُ دَورةً وَزَلّتْ عـــنِ المِرقاةِ بالقَدَمِ النَّعْلُ

فَيُنْتَقَضُ الحبْلُ الذي قَـد فتلتُمُ ألا رُبَّما يُـلوى فَينتقِضُ الـحَبْـلُ[١٦]

وقال الحسام بن ضرار هذا الشعر لتتابع ولاة إفريقيا والأندلس من "قيس", ولمّا بلغ هذا الشعر الخليفة هشاما بن عبد الملك سأل عن قائله, فأُعْلِمَ أنَّه رجل من "كلب" فأمر أن يتولّى الحسامُ الاندلسَ[١٧].

لقد كان شعر أبي الخطّار تحريضا سياسيا بامتياز, فقد تعكّز على حمولةِ واقعةٍ تاريخية تصبُّ في مصلحة "المضريين" ضد "القيسيين", وذلك في وقعة "مرج راهط", حينما ناصرت "كلب" مروانَ بن الحكم ضدَّ الضحَّاك بن قيس الفهري أمير عبد الله بن الزبير, فالشاعر قد وجّه الاتهام والاستنكار السياسي الصريح ضدّ السلطة, كذلك فإنّ استدعاء العدالة الإلهية_ في شطر البيت الأول_ يُمثّل وسيلةَ ضغط دينيّة تعزّز خطاب التحريض وتحيل إلى تقريب الاستجابة أكثر, لا سيما بتعاضدها_ كوسيلة بارزة حينما ابتدأ الشاعر بها خطابه_ مع جملة من الوسائل مثل : التذكير بالماضي, بالبطولات والتضحيات التي ساعدت كثيرا بني أميّة, كذلك بالتهديد المباشر بانفلات الوضع وإمكانية انقلابه, كلّ ذلك يمثّل آليّات خطابيّة تُعضّد التحريض وتوجب الاستجابة له؛ ليحاول أن يتقلّدَ أبو الخطّار مقاليد الحكم في الأندلس, فتمّ له ذلك, بمعنى أنَّ التحريض قد كانت له استجابة مُثلى, وهي تقليده إمرة الأندلس, فضلا عن شياع ذلك التحريض في أوساط المجتمع؛ لأنّ شعره المذكور قد اشتهر كثيرا في المغرب والمشرق[١٨]، ممّا يعكس فداحة ما قد تؤول إليه الأمور إذا لم يتحقّق للشاعر مراده. وقد بدت في أبيات أبي الخطّار سمة القادة والملوك؛ إذ أنّ أسلوبه في مخاطبة بني مروان, والخليفة هشام بن عبد الملك تخصيصاً هو أسلوب يشي برؤية التكافؤ القيادي والاجتماعي, فالأنا _وإنْ كانت جمعية_ قد طغت على ألفاظ ذلك الخطاب, مع ما به من توجيه وتحذير من انفلات الأمر في إفريقيا والأندلس, فما

كان بدّ إلّا الاستجابة لذلك التوجيه والتحذير, بل يُروى إنّ هشاما قد غضب لأبي الخطّار, وشتم من كان سبباً في ذلك, وعَزَله, فاستتبّ الأمر بعد ذلك للأمير الحسام بن ضرار.

وقد شهد عهد الولاة من الاضطراب والمحن ما تهيّئ لقيام عهد جديد على أنقاضه, وقد بدأ هذا العهد بـ "عبد الرحمن الداخل" حين وطأت قدماه أرض الأندلس سنة(١٣٨ هـ), فما إن تسلّم زمام القيادة حتى بدأ بتصدير سياسته الخاصّة, من ذلك ما نطالعه في أبيات يحرّض فيها الولاة على الحزم بالحكم, ويحثُّ أنصار بني أميّة للالتحاق بالركب الأموي في الأندلس بعد أن جُبِرَ صدع الأمويين؛ إذ كانوا مكسورين في المشرق, يقول : (الكامل)

لا يُلْفَ مُمْتنٌّ عـــلينا قائِلٌ لولايَ ما مَلَكَ الأنامَ الداخـلُ

سَعْدِي وحَزْمِيَ والُمهنَّدُ والقنا ومَقادِرٌ بَلَغتْ وحـــالٌ حـائلُ

إنَّ المُلوكَ مع الزمانِ كواكِبٌ نَـجْــمٌ يُــطالِعُنا ونجمٌ آفِلُ

والحزمُ كـلَّ الحزمِ ألّا يغفلوا أيَرومَ تــدبيرَ البريَّةِ غـافِلُ

ويقولُ قَـوْمٌ سَعْدُهُ لا عقلُهُ خَيْرَ السعادةِ ما حماها العاقِلُ

أبَنِي أُمَيَّةَ قَدْ جبرنا صدعَكمْ بالغربِ رغــماً والسعودُ قبائِلُ

ما دامَ من نَسْلِيْ إمامٌ قائمٌ فالمُلْكُ فِــيكم ثابتٌ متواصِـلُ [١٩]

وهذه القصيدة((تدخل في إطار الفكر السياسي))[٢٠], ويمكن تشخيص معالم للعصبية فيها, فضلا عن الحزم و القوّة, وهما آيتان تدلّان على نبوغ الداخل, وفرادة عقله, فضلا عن التعريض بمن يُنكر عليه ذلك, إذ أنّ هناك صفات لابدّ من التحلّي بها لتكون جلبابا للحكم, وتاجا للتدبير فيه,(فالسعد) لا يأتي إلّا بالمهنّد والقنا, والتدبير والحزم, ثم يخاطب أنصار بني أميّة بأن يلتفّوا حوله, ويعضّدوا سلطانه؛ لأنه قد استشرف المستقبل بأنّ الحكم سيدوم لبني أميّة. وهو ما كان كذلك إذ بلغ حكم الأمويين في الأندلس نحو ثلاثة قرون. والتحريض السياسي في هذا النصّ يحمل دلالات واضحة في عكس التصوّر السياسي الحاسم تجاه قضايا الحُكم والنظام, فاشتراط الحزم والتدبير, وإيضاح إمكانية أفول حكم الملوك, واستكراه الغفلة عن ذلك كلّه ممّا يربط على مقاليد الحُكم عند الحاكم, ويدعو لأن تكون الرّعيّة ممّن لابد لها الالتفاف حول الحاكم وتقويض كلّ ما من شأنه أن يعكّر صفو الرؤية السياسية التي مكّنت من تسلّم أصحابها زمام الأمور بتفاصيل تلك الرؤية وذلك التوجّه المستند إلى تلك الاشتراطات التي حرص الدّاخل على أن تكون ملازمةً له أبداً.

ويبدو أن عبد الرحمن الداخل معقود الهمّة على التحلّي بالرفعة والسموِ, وترك الملذّات, فها هو يحرض على ذلك بأرجوزته:

كانَ لِفاعي ظِلُّ بَنْدٍ خافقٍ غَنيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهقِ

بالقفرِ والإيطانِ بالسرادقِ فَقُلْ لمنْ نامَ عــلى النّمارقِ

إنَّ العلا شُدَّتْ بِهمّ طارقِ فاركـــبْ إليها شَبَجَ المضائقِ

أولا, فأنتَ أرذَلُ الخلائقِ[٢١]

فهو متوشّح بإباء الراية الخفّاقة, كناية عن الحرب وإدامتها, اذ هو مستغن عن الركون للهناء في ظلِّ الرياض والقصور, وهذه معان يحرّض السامع عليها لاسيما بذكر همّة طارق بن زياد, وكيف اشتدّت به عرى العلا, وإلّا فان الخنوع والهوان سمة الجبان والرعنان, وهكذا فيمكن وصف شخصية الداخل عبر شعره الجليل ذاك احتيازها على((جانب سياسي يُدبّر ويحتال ويحزم ويعرم, وجانب عسكري يقسو ويعنّف ويضرب ويفتك))[٢٢] , ليُرى أنّ الدّاخل ممّن عكس توجّها سياسياً واضحا, ورؤية فهيمة للكيفية التي يمكن عبرها من استدامة المُلك, وتحقيق الاستقرار السياسي المشروط بما يُستجاب له من التحريض السياسي الذي يدعم كثيرا تلك الرؤية وذلك التوجه السياسي المخصوص.

ومن صور التحريض الذي يشي بصرامة التدبير عند أمراء بني أميّة قول "حبيب بن عبد الملك" _حفيد عبد الملك بن مروان_ يخاطب عبد الرحمن الداخل, حاثّا على قتل أحد المناوئين لهم: (البسيط)

يا ابنَ الخــلائِفِ إنّي ناصحٌ لكم فــي قَتْلِ ذِي إحَنٍ يرتادُ للنّقَمِ

لا يــفلتنَّكَ فــــيأتينا بِـبائقةٍ* واشْدُدْ يديَكَ بهِ تبرأ من السَّقَمِ

جَلِّلهُ عَضْباً من الهنديّ ذا شُطَبٍ إنّ الصـــرامَةَ فيهِ فِعْلَةُ الكرمِ [٢٣]

فالأبيات مشحونة بالتحريض ضدّ ذلك المناوئ ذي الحقد, والناقم عليهم, والصورة الراشحة من وعاء تلك الأبيات ملبّدة بالعنف, مكسوّة بالصرامة والقساوة, بل إنّنا نجد مفارقة دلالية في إعداد ذلك العنف في صورة "الكرم" الذي لابد يبديهِ الحاكم مع الرعايا, وهذا شاخص في البيت الثالث إذ أنّ الصرامة هي "فعل الكرم", ويبدو أنّ هذا العنف هو إحدى صور التعامل السياسي الذي انبنى عليه ركن الحكم عند أولئك الأمراء في التعامل مع الأعداء, ولذلك له ما يبرّره ربّما؛ إذ كانت الرؤية السياسية عند أولئك الحكّام قد انبنت على الحثّ على التصرّف الحازم والسريع لمثل هذه القضايا التي تمثّل تهديداً مباشراً للنظام السياسي والاستقرار المنشود الذي يفترضه التوجّه السياسي العامّ آنذاك, فالقسوة والوعيد بها تبرز بوصفها أداةً للتصرّف السياسي يحرّض عليها الشاعر لحماية السلطة من ذلك التهديد بما يحقّق الاستقرار السياسي العام, وليكون توجيها عامّا لمن تسوّل له نفسه أن يكون ضديداً للسلطة, ولنظام الحكم فيها.

العدد د – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

وهناك من نَقمَ من تلك الشدّة التي كان عليها الأمراء الأمويون, لا سيما من بني مروان, ومنهم الأمير ابو عثمان "سعيد بن جودي السعدي" رئيس العرب أيام الصراع مع المولّدين, يقول محرّضا عليهم: (الرمل)

يا بني أُمَيَّةَ جِدُّوا في الهربْ نَجَمَ الثائِرُ من وادي القَصبْ

يا بني مــروانَ خَلُّوا مُلْكَنا إنَّــما المُلكُ لأبناءِ العربْ[٢٤]

فمع إنّ أفعال الأمر موجّهة لأولئك الأمراء من بني أميّة _وهو لحثّهم على ترك المُلك والحُكم_ إلّا أنّ التحريض قد اعتمد الأسلوب غير المباشر في دعوة الناس للانقلاب عليهم, ثم تَمْنِيَةُ النفس من تسلّم الحُكم منهم, ولكنّ هذا التحريض قد عاد وبالاً على ابن جودي إذ كان البيتان هما سبب قتله[٢٥], فغدا تحريضه سلبيّا بعد ذلك.

وكان الصراع قائما بين العرب والمولّدين أيام "سعيد بن جودي"، فقال محرّضا حين ((أسرَهُ عمر بن حفصون رأس الفتنة ومُضرم نارها, وركن العصبية للعجم والمولّدين, وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته

خليليَّ صبراً راحةُ الحُرِّ فـي الصبرِ ولاشيءَ مثلُ الصبرِ في الكَرْبِ للحُرِّ

فكم من أسيرٍ كانَ فــي القدِّ مُوثَقاً فأطْلَقَهُ الرحمنُ مـــن حَلَقِ الأسرِ

لَـئِنْ كــنتُ مأخوذاً أسـيراٍ وكنتما فليسَ عــلى حَرْبٍ ولكن على غَدْرِ

ولوكنتُ أخشى بعضَ ماقد أصابني حَمَتْني أطـــــرافُ الرُّدَيْنيَّةِ السُّمْرِ

فقـد عَـــلِمَ الفتيانُ أنّي كَميتُها وفارِسُها المُقْدام فــي ساعةِ الذُّعْرِ))[٢٦]

الشاعر هنا يُحرّض نفسه على الصبر مما لقاه من الأسر, ولأنّ سعيدا ذو شخصية سياسية قد اجتمعت له عشر خصال تفرّد بها في زمانه ذكرها ابن الأبّار بـ ((الجود والشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشدّة والطعن والضرب والرماية))[٢٧]، فكان يأبى أن يذلّ أو يُؤسر, وإنّما كان أسرهُ غدراً, بمعنى أنه لم يُطلب في معركة, ولم يكن في يده حامية, وإلّا فان الموت ما يتمناه لا سيما فيما أظهره من الجَلَد الجليل, والصبر النبيل في بيتين من القصيدة نفسها مخاطبا زوجته, وحاضّاً لها على الصبر أيضا: (الطويل)

بهمّكِ ألقى خالِقِي يـومَ موقِفِي وكربُكِ أقضى لي منَ القتلِ والأسرِ

وإنْ لم يَكُنْ قبرٌ فأحسنُ موطِئاً من القبرِ للفُتيانِ حَــوْصَلةُ النّسرِ

فالشاعر أبى إلّا أن يموت مِيتة الحرب قتيلا, متروكة جثتهُ للضوار من الحيوانات. وهي كناية عن إباء النفس وسموّها [٢٨].

ومن أشعار التحريض السياسي أيضا ما نطالعه في فترة الحجابة, لاسيما عند المنصور بن أبي عامر, فحين ولِيَ "هشام المؤيد" بن الحكم المستنصر كان عمره إذّاك تسع سنين, فاستوزر المنصورَ وتسلّم مقاليد الحكم كلّها[٢٩]، فكان في نَفسِ المنصور غايات التوسّع والسيطرة, ومن شعره يُمنّي نفسه بملك مصر والحجاز قوله: (الخفيف)

مَنَعَ الــعينَ أن تذوقَ المَناما حُبُّها أن ترى الصّـفا والمقاما

لي دُيونٌ في الشرقِ عِندَ أناسٍ قد أحلُّوا بالمشـعرينِ الحراما

إنْ قَضوْها نــالوا الأماني وإلّا جُـــعِلوا دونها رِقاباً وهـاما

عـــن قريبٍ ترى خيولَ هشامٍ يبلغُ النيلَ خَـطْوُها والشآما[٣٠]

وقد نلحظ في الأبيات تحريضا غير مباشر للناس في التهيؤ أو عقد الهمّة وإعلاء الطموح, للظفر بما بعد البحر, وهذا ربما أسلوب في إشعار الناس بغلبة المنصور وسطوته, وإحكامه للأمور, لاسيما في الجزيرة التي يحكمها ويحكم ناسها, وهذا ما يحقّق الغاية في الاستقرار السياسي الذي يطمح اليه المنصور في أبياته, حيث إنّ الشعر طالما يُقدَّرُ له أن يرتهن بالآخر المتلقّي, مخاطبا إيّاه, ومتوجّها بالقصد إليه[٣١]، بمعنى أن ارتفاع سقف الطموح, وحثّ الناس عليه هو تحريض على الالتفاف حول القائد السياسي, وتدعيم أركان مملكته, وهذا فعل الحاذق من القادة والملوك, الذين يهمهم التدبير في الأمور في إحكام السطوة والإيذان بامتداد الحكم, وفق رؤية سياسية مخصوصة.

وفي هذا المعنى يقول ايضا: (الطويل)

ألمْ ترَنِي بِعْتُ الإقــامةَ بالسُّرى ولِـــينَ الحشايا بالخيولِ الضّوامرِ

تّبدّلتُ بـــــعدَ الزعفرانِ وطيبهِ صدا الدِّرعِ من مُسْتحكماتِ المسامرِ

أروني فتىً يحمي حِمايَ وموقفي إذا اشْـــتَجَرَ الأقرانُ بينَ العساكرِ

أنا الحاجبُ المنصورُ من آل عامرٍ بسيفي أقِـــدُّ الهامَ تحتَ المغافِرِ

تِلادُ أمـــير المـؤمنينَ وعــبْدُهُ وناصحِهُ المشهودُ يـــومَ المفاخِرِ

فلا تَحْسَبوا أنّي شُـــغِلْتُ بغيرِكم ولكن عهدتُ اللهَ فـــي كـلِّ كافرِ[٣٢]

والأبيات مفعمة بالأنا, صاخبة بها, حتى إذا أراد أن يخفّف منها واءمها مع هشام المؤيد, بل علا عليها بالنصح لها أيام ما تكون النفوس شحّة في البذل والعطاء, وهي ايام القتال في قوله:

تِلادُ أميرِ المؤمنينَ وعبْده وناصِحُهُ المشهودُ يومَ المفاخرِ

وهنا مهارة سياسية قد تعكز عليها المنصور بإشعار الناس أنّه طوع الحاكم الفعلي, وتحت إمرته, والحقيقة غير ذلك تماما, فهشام ليس له من الملك إلّا الاسم[٣٣] ، اما الحاكم الفعلي فهو المنصور الذي((لا يخفق له مسعى ولا يؤوب دون مغنم... إلى أن صار صاحب التدبير, والمتغلب على جميع الأمور, فدانت له أقطار الأندلس كلّها, وأمنت به, ولم يضطرب عليه منها شيء أيام حياته؛ لحسن سياسته وعظيم هيبته))[٣٤].

وقد عانت الأندلس منذ سقوط العامريّين وذهاب ملكهم من فتنةٍ تفكّكت إثرها الوحدة الأندلسية, وتنازع الأمراء الأمويون بينهم, ثم مع البربر[٣٥], وكان التحريض السياسي في أوجه, يستتبع المصالح الشخصية التابعة لفئات معينة مع العناصر المتقاتلة, وقد ابتدأها محمد بن هشام بن عبد الجبار الاموي الملقب بـ"المهدي", حينما أراد تقويض حكم العامريين والإطاحة بهم, وبعد أن تمّ له ذلك انبرى أموي آخر ينتزع الخلافة منه, وهو "سليمان المستعين" الذي تزعّم البرابرة, وكانوا بدورهم قد استعانوا بالنصارى فكان أن ظفروا بما أرادوا, وتقهقر "المهدي" ثم عاد بعد أن تحالف مع الإفرنج فهزم سليمانا المستعين وجيوشه, ثم عمد أصحابه وقتلوه, ونصّبوا هشاما المؤيد ثم عاد سليمان فملك قرطبة ثم مات المؤيد وقام سليمان بالملك وشهدت ايامه تناحرا عجيبا بين مفاصل دولته[٣٦], ثمّ ما لبث الاخير أن تنقلب عليه الأمور ليتحكّم البرابرة والعبيد في مدن الاندلس وثغورها[٣٧], فساء ذلك المستعينَ, فأخذ يحرّض عليهم بقوله: (الطويل)

حلفتُ بمن صلّى وصامَ وكبّرا لأغْمِدَها فـيمن طغى وتَجبَّرا
فواعجباً مـن عَبْشَمِيٍّ مُمَلّكٍ فبدّلَ مـا قـد لاحَ منها وغَيَّرا
فلو أنّ أمري بالخَيارِ نَبَذْتُهمْ وحاكمْتُهم للسيفِ حُكْماً مُحَرّرا
فإمّا حـــياةٌ تُسْتلَذُ بِفقْدِهم وإمّا حِمامٌ لا نرى فيهِ ما زَرَى[٣٨]

لقد تضمّنت الأبيات معان تُحيل إلى التحريض على البربر, لإنّنا نعلم أنّ النصّ أحيانا يحتاز لغة باطنية تستفزُّ المتلقِّي, وتؤثّر فيه[٣٩], ليحقّق النصُّ غايته. ومعمار الأبيات الدلالي قد انبنى على ركنين أساسين: الأول في البيت الأول, وهو تمهيد للركن الثاني, والثاني في البيت الأخير من المقطوعة, وما بينهما تفاصيل, للسامع أن يتبحّر في مكنونات معانيها, حيث إنّ دين الله سوف تُعاد رسومُه, بعد أن محاها أولئك البربر, وكيف أنّ خليفةً متصلاً نسبُهُ لقريش يُراد له أن يَذعنَ للبربر, ثم تجيء الخاتمة بإقصائهم وموتهم إذ لا يُتهاون في ذلك, فالأبيات تستعمل لغة تحريضية حادّة في التعرّض لأولئك القوم, وتبرّر استعمال العنف والقسوة لتصحيح المسار السياسي, فالشاعر لا يدعو للثورة فقط بل يُضفي عليها شرعية تبيح ذلك, فإمّا حياة بفقدهم وإمّا الموت المخلّص منهم.

وشبيه هذا المعنى قول "المرتضى المرواني" أحد أبناء بني أميّة حاضّا على البربر بأسلوب مباشر, وبمداليل واضحة, يقول: (السريع)

قـــد بَلَغَ البربرُ فينا بِنا ما أفسدَ الأحــوالَ والنّظما

كالسّهمِ للطائرِ لـولا الذي فيهِ مـن الرّيشِ لما أصْمَى

قوموا بِنا في شأنِهِم قَوْمَةً تُزِيلُ عنّا العـــارَ والرَّغْما

إمَّا بِـــها نَمْلكُ أو لا نرى مـا يُرْجِعُ الطَّرفُ بهِ أعمى[٤٠]

والشاعر حذق في بناء مقطوعته, فالبيتان: الأول والثاني إخبار عمّا آل إليه الوضع من تغلغل البربر, واستحكامهم الأمور, وهذا وإن كان حقيقة معلومة عند الناس لكنّه حينما يكون بصورة "الشعر" فإنّ له وظيفة هامّة للناس هي الانتفاع بالحقائق, وتأليب العواطف, واستمالة القلوب للغرض من القول[٤١], ويمثِّل هذان البيتان تمهيدا وتهيئة للتحريض في البيت الثالث والرابع, واشتمالهما على معان تثير النفوس, وتشدُّ من العزيمة.

وفي حدود سنة (٤٢٢هـ) ((انقطعت الدولة الأموية من الارض, وانتثر سلك الخلافة بالمغرب, وقامت الطوائف بعد انقراض الخلائف))[٤٢]، إذ لمّا ((أخذ الضعف يدبُّ في جسم الدولة الأموية... بدأ رؤساء الطوائف يستقلّون بالإمارات التي يحكمونها, فعُرِفوا بملوك الطوائف[٤٣]، وأشهر تلك الطوائف "بنو عبّاد" في إشبيلية, وأول ما نطالع من صور التحريض السياسي عندهم في أبيات أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن عبّاد (ابو المعتضد), إذ يقول: (الطويل)

ولابدّ يوماً أن أسودَ على الورى ولو رُدَّ عــمروٌ للزمانِ وعامرُ

فما المجدُ إلّا في ضلوعيَ كامِنٌ ولا الجودُ إلّا مِــن يمينيَ ثائِرُ

فجيشُ العُلا ما بين جنبيَ جائلٌ وبحرُ النّدى مــا بينَ كَفّيَ زاخِرُ[٤٤]

والشاعر هنا يحرّض تحريضا غير مباشر للالتفاف حوله, وتعضيد ملكه, وبلوغ المجد المؤمّل عَبرَ إظهار نفسهِ مُتفرّدا بخصلتين يمكن معهما أن يسمو ويسود على الناس, أولاها: الأمن والأمان معه, إذ أنّ له جيشا منيعا وسمه بـ "جيش العُلا", وثانيهما: أن لديه يداً سخية تحاكي البحر عطاء وندى, فالأمن إذن والعطاء هما أكثر ما تطلبه الرعية من حاكمها, وبذلك أظهر أبو القاسم مهارة في التعامل السياسي مع الرعية وشؤون التدبير فيها.

وشبيه هذا المعنى نجده عند ولده المعتضد بن عباد حين يقول: (الطويل)

أجدِّدُ فـــي الدنيا ثيابا جديدةً يُجدِّدُ منها الجودُ مــا كانَ باليا

العدد 2 – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

فما مرَّ بُـــخلُ يخاطِرُ مُهجتي ولا مرَّ بخلُ الناسِ قــطُّ ببالِيا

ألا حَبَّذا في المجدِ إتلافُ طارفي وبذلِيَ عند الحمدِ نفسي ومالِيا[٤٥]

فالمجد والرياسة لا تُنالُ إلّا بالبذل والعطاء, مع ما عرف به المعتضد _وكذا بنوعبّاد_ من الحزم والقوّة, فقد اجتمعت له آيات ذلك المجد, ومصاديق التفاخر بالعلا السياسي والقيادي, ويصرُّ المعتضد على إبلاغ ما تحمله نفسه من الكرم والعطاء, يقول: (الطويل)

عنِ القصدِ جاروا وما جرتُ عن قصدي إذا خَفِيتْ طُرْقُ الفرائسِ عــن أُسْدِ

إذا اعترضوا للبُخْلِ أعرضْـــتُ عنهُمُ وإن مَنَّ أقوامٌ كَتمتُ الـــذي أُسدي

فللهِ مـــــا أُخفي من العدلِ والنّدى وللهِ ما أُبْدي مـــــن الفضلِ والمجدِ

ولا ألتقي ضَـــيفي بِـــــغير بشاشةٍ إذا فَجَحدتُ اللهَ معروفَهُ عـــــندي[٤٦]

الابيات زاخرة بقيم نبيلة رسمها المعتضد لنفسه, تعطي صورةً لكيفيّة القيادة في أن يكون القائد ذا يد سمحةٍ معطاء. فضلا عن استشعار التحريض على تلك القيم أن تكون موجوده عند القائد فضلا عن الرعية التي تعد الحاكمَ قدوةً لابدّ من التأسّي بها.

ثم يحاول أن يُبيّن أنّ طموحه السياسي أعلى ممّا كان له, وفي ذلك إخطارٌ للناس بمدى قوّته وسطوته, وأنّه إذا ملك أكثر فإنّ الرعيةَ ستكون في رخاء وسعادة أكثر, يقول: (البسيط)

هذي السعادةُ قدْ قامتْ على قَدَمٍ وقدْ جَلَسْتُ لها في مجلسِ الكرمِ

فإنْ أردتَ إلـــهي بالورى حَسَناً فَملِّكْنِي زِمـــــامَ العُربِ والعَجَمِ

فإنَّنِي لا عَدِلتُ الدهرَ عن حَسَنٍ ولاعدلتُ بِهم عـــن أكرمِ الشِّيَمِ

أُقارِعُ الدّهرَ عنهم كلَّ ذي طَلَبٍ وأطرِدُ الدهرَ عنهم كُـلَّ ما عَدَمِ[٤٧]

فأحيانا قد لا يستطيع الشاعر_ أو من غير المناسب_ أن يُحرِّض بأسلوب مباشر على أشياء مخصوصة, وإنّما يكون عبر شذرات مبثوثة داخل النص, يستطيع المتلقّي جَمْعَها؛ لأنّ المعنى يتبعثر أحيانا في النصّ, ينتظر قارئا ما يلتقط مفرداته الاولى, وبعد ذلك يُنظِّم شجرة دلالية[٤٨] يستطيع عَبْرَها استكناه المنشود والمقصود, ثم تحقيقه, والمعتضد في أبياته قد أظهر ما يُمكِّنه ذلك؛ فالسعادة والتوفيق صاحباه لا يفترقان عنه, وهذا ما أهّله لأنْ يدعو الله أن ينالَ مُلكا عظيما يسود فيه على الناس, ثم يُقدِّم تعليلا وأسبابا لذلك فإذا هو ماسكٌ دفّة الدهر, لا يميل به عن الصواب, ولا ينحو بهم عن جادّة الحقّ, بل يصارع الزمان وأهله في تحقيق رغبات الناس, ودفع الأخطار عنهم وكلّ ما يسوؤهم.

ويبدو أنّ هِمّة المعتضد أخذت تخبو إبّان الصراعات التي شهدتها مدن الطوائف داخليا وخارجيا, وتكالب الروم على استرداد المدن, فما كان من الوزير "أبي حفص الهوزني" إلّا أن يُحرِّض المعتضد على الجهاد, فبعث برقعة فصّلَ فيها الهوزني القول, وهو يحضُّه على فهم الخطاب, وإنْ طالت أوصافه, وافتتح الرقعة بالحثِّ على ذلك بالقول: (الطويل)

أعبّادُ جلَّ الرزءُ والقـــومُ هُجَّعُ عـــــلى حالةٍ مَنْ مِثلها يتوقَّعُ

فَلَقّ كتابي مـــــن فراغِكَ ساعةً وإنْ طالَ فالموصوفُ للطُّولِ موضِعُ

إذا لـــمْ أبُثِّ الـــــداءَ رُبَّ دوائهِ أضعتُ وأَهْـــــلٌ للملامِ المُضيّعُ[٤٩]

فالهوزني قد عَلَتْ هِمّتهُ في توجيه المعتضد, وحثِّه على الجهاد وحمايه البلاد, ونحن إذ نفهم ذلك جليا نستشعر توبيخا خفيّا في النصّ للمعتضد, ومثل ذلك قوله ايضا: (الطويل)

أعبّادُ ضاقَ الذّرع واتّسَعَ الخَرْقُ ولاغربَ للدُّنيا إذا لـم يكنْ شرقُ

ودونكَ قولٌ طالَ وهـــوَ مُقصّرٌ فـــللعينِ معنىً لا يُعبّرُهُ النُّطْقُ

إليكَ انتهتْ آمالُنا فارمِ مـا دهى بِعزمِكَ يـدمغُ هامةَ الباطلِ الحقُّ[٥٠]

ولان المعتضد طالما توجّس خيفةً من الهوزني أمر بإحضاره, فقتله, وذلك نحو سنه (٤٦٠هـ)[٥١].

ولأبي حفصٍ أيضا قصيدة ((يحضُّ على الجهاد, ويستنفر كوافي البلاد

بُيِّتَ الشرُّ فـــــلا يُـسْتَزلُّ طَرَقَ النـــــوَّامَ سَـمْعٌ أزَلّ

فَثِبُوا واخْـــشوشنوا واحزَئلُّوا كُلُّ ما رِزْءٍ سوى الـــــدينِ قُلُّ

صـــــرَّحَ الشرُّ فـلا يُسْتقلُّ إنْ نهلتم جـــــاءكم بَعْدُ عَلُّ

بِدْءُ صَعْقِ الأرضِ نُشءٌ وطلُّ وريـــــاحٌ ثمَّ غـــــيمٌ أبَلُّ

ورَجَتْ عـــادٌ ســحاباً يُهِلُّ فإذا ريـــــحٌ دَبورٌ مِـحَلُّ

نَقِّبوا فـــالداءُ رِزْءٌ يحُلُّ واغْـمِـدوا سـيفاً عليكم يُسَلُّ)) [٥٢]

إنّ القصيدة زاخرة بالتحريض, فضلا عمّا في تفصيلات ذلك الخطاب من تقريع وتوبيخ إزاء الناس, فالخطر محدق ببابهم وهم نيام, لا يكادون يفقهون قياماً, ولا يعون ثبوراً سيحلُّ بناديهم, وقد ضمّنَ الشاعر أبياته ما حلَّ بقوم "عاد" حين عصفت بهم رياحٌ دَبورٌ, فأهلكتهم, فأصبحوا في دارهم جاثمين.

العدد د – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

وبعيدا عن مملكة بني عبّاد في إشبيلية نرى "ابن رزين" في "شنتمرية الشرق" يحرّض فيها الناس على انتهاج سلوكيات قد تحقق استقرارا سياسيا واجتماعيا عامّا, وهو تحريض في صالح قضايا إيجابيّة تخدم السياسة العامة للبلد, وتحقق رغادة من نوع مخصوص, يقول: (البسيط)

شأوتُ أهـلَ رزينٍ غـيرَ محتفلٍ وَهُم عـــلى ما علمتُ أفضلَ الأُممِ

قومٌ إذا حُــورِبوا أفنوْا وإن سُئلوا أعطوا وإن سوبِقوا حازوا مدى الكرمِ

جـــادوا فما يتعاطى جودُ أنملهم مَدَّ البحـــــارِ ولا هــطّالةَ الدِّيَمِ

ومــا ارتقيتُ إلـى العليا بلا سببٍ هيهاتَ هـــلْ أحـدٌ يسعى بلا قدمِ

فمنْ يَرُم جـــاهداً إدراكَ منزلتي فَلْيَحكِني فـي النّدى والسيفِ والقلمِ[٥٣]

فقد عمد ابن رزين في الأبيات الأربعة _قبل الاخير_ إلى استظهار معالم الصفات الحميدة التي يحلم بها الفرد ضمن مجتمعه السياسي والاجتماعي, كالفضل والكرم والجود والمحتد والشجاعة والادب, ثم يعلّل ذلك بقوله:

وما ارتقيتُ إلى العليا بلا سببٍ هيهات هل أحدٌ يسعى بلا قدمِ

وهو تحريض للعمل وبذل الجهد في تحصيل الفضائل والحمائد, ثم يؤكد ذلك في البيت الأخير بصورة جليّة مباشرة:

فمن يرم جاهدا إدراكَ منزلتي فليحكِني في النَّدى والسيفِ والقلمِ

إذ أنّ معاني الندى _كناية الكرم_ والسيف _كناية الشجاعة والقوّة_ والقلم _كناية الأدب والعلم_ هي مفردات جليلة إذا احتازها الفرد فقد بلغ الشأو العظيم, وكل هذه الصفات والمداليل فيها ممّا يسمو معها الفرد ثم المجتمع, ويحقّق نوعا مخصوصا من الاستقرار السياسي والاجتماعي, وهو ما يخدم بعد ذلك هدف الحاكم في تدعيم الملك وإرساء قواعد النظام.

ونقيض هذا المعنى نجده عند ابن هود محرّضا أهله على انتدابه, وعدم التفريط به رئيسا وحاكما لسرقسطة, يقول: (الطويل)

ضَلَلْتُمْ يا آلَ هودٍ عَـــن الهُدى وضيَّعتمُ الرأيَ الـــمُوفّقَ أجمعا

وشِنْتُم يَمينَ المُلكِ بِـــي فَقَطَعْتُمُ بأيديكمُ مـــنها وبالغدرِ إصبعا

وما أنا إلّا الشمس غَـير غياهبٍ دَجَتْ فأبتْ لي أن أُنيرَ وأسطعا

وإنْ طلعتْ تـــلك البُدور أهِـلّـةً فلـم يبقَ إلّا أن أغيبَ وأطلعا

فـلا تقطعوا الأسباب بيني وبينكم فأنفَكم منكم وإنْ كـــانَ أجدعا[٥٤]

والأبيات محمَّلة بالحزنِ, مُثقلة بالحنين, خامر بعضُ العتبِ بعضَ التوبيخ, وشيءٌ من التقريع آخرَ من الإستعطاف, ولكنَّ أُذناً صاغية لم يلقَ شاعرنا؛ فعاد تحريضه سلبا, فتجلبَبَ الحزنَ, والتحفَ الأذى, ثم يمّمَ نحو "يابرة" عند المتوكل فمدحه, وأخذ يحرِّض على الهجرة من سرقسطة إليها, يقول: (البسيط)

يا خـائفَ الدهرِ يَمّمْ أرضَ يابرةٍ تأمن وتكفى الذي تخشى من الحَذَرِ

وواصِفَ البحرِ في شتّى عجائبهِ حدِّث بـــلا حـــرجٍ عنهُ وعن عُمرِ

وكم سمعنا قديما عـــن مكارمِهِ حـــــتى رأينا فأزرى الخُبْرَ بالخَبَرِ[٥٥]

وبعد أن حكمَ ملوكُ الطوائف الأندلسَ بدأ سلطانهم بالاندثار, فما كانت سنة (٤٨٤هـ) تطلُّ على الأندلس حتى بدا الزحف المرابطي يلتهم دول الطوائف, فأصبحت ولاياتٍ تابعةً لامبراطوريتهم في المغرب[٥٦], ومن شواهد التحريض في تلك الفترة ما نطالعه عند أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسيّ حين ثار على المرابطين, يقول: (الطويل)

وما تُدْفعُ الأبطالُ بالوعظِ عن حمىً ولا الحربُ تُطْفى بالرُّقيّ والتَّمائمِ

ولـكـنْ ببيضٍ مُرهـفـاتٍ وذَبَّلٍ مواردُها مـــاءُ الطُّلى والغلاصِمِ

ولا صُلْحَ حتى نـطعنَ الخيلَ بالقنا ونضربَ بالبيضِ الرِّقاقِ الصورامِ

ونحنُ أُناسٌ قـــــد حمتنا سيوفُنا عَـــنِ الظُّلمِ لمّا جرتُمْ بالمظالمِ[٥٧]

وتحريض ابن قسّي ضمن إلماحات مبثوثة في النص تحيل إلى استدامة الثورة على المرابطين, فالحرب لا تنتهي بتميمة ورُقْيَة, بل بالسيوف المرهفات والرماح الشاهقات, التي تكون مواردها جماجم الأعداء, وإشارة: (لا صلحَ) هو تحريض على استطالة أمد الحرب والثورة, وقد استعرض الشاعر آلات الحرب إعلاءً لشأن أصحابها الثائرين, كلُّ ذلك مما يبعث النفوس على البطولة والإباء؛ بغيةَ استطالة الحرب, أو تحصيل الهدف المنشود.

قُـلْ للإمامِ أطـــالَ اللهُ مدّتَهُ قولاً تُبينُ لِـذي لُبٍّ حَـــقائقُهْ

إنَّ الزراجينَ* قـومٌ قد وَتِرْتَهُمُ وطالبَ الثأرِ لـم تُؤمنْ بوائقُهْ

وللوزيرِ إلـــــى آرائِهم مَيَلٌ لذاكَ ما كثُرتْ فيهم عــلائقُهْ

فبادِرِ الحزمَ فـــي إطفاءِنارِهِمُ فَرُبَّما عاقَ عـــن أمرٍ عوائقُهْ

هُمُ العدوُّ ومَـــن والاهُمُ كَهُمُ فاحذرعدوَّكَ واحذرْ من يُصادِقُهْ

اللهُ يعلمُ إنّي ناصِـــحٌ لـــكمُ والحقُّ أبلجُ لا تُخْفى طرائِقُهْ[٥٨]

ويمكن تشخيص التحريض جليا في الأبيات كلّها بلا مقدمات ولا تمهيد, بل إنّ التحريض على القضاعي قد جاء مباشرا :(وللوزير الى ارائهم ميل), ثم هناك تعليل لهذا الأمر: (لذاك ما كثرت فيهم علائقه), بمعنى أن البيت الثالث من المقطوعة قد شهد صدره الاتّهام, وعجزه التعليل, أو "الشاهد والدليل" على علاقة القضاعي بالمرابطين, واضماره النية لأخذ الثأر, وهذا الأسلوب قد أتى أُكلَه, فكانت هناك استجابة مثلى للتحريض إذ((لمّا وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة في معناها وغر صدرُهُ على وزيره أبي جعفر, وأسرّ له في نفسه تغيُّرا, فكان أقوى أسباب نكبته))[٥٩] وموته, وكان قبل ذلك قد حاول أبو جعفر القضاعي حثّ الخليفة على العفو واستعطافه بأبيات كان قد بعثها إليه من سجنه, يقول فيها: (البسيط)

عَطْفًا عَـلينا أميرَ المؤمنينَ فقد　　بــانَ العزاءُ لـفرطِ البثِّ والحَزَنِ

قــد أغرقتنا ذنــوبٌ كلُّها لُجَجٌ　　وعَـطفةٌ مـنكم أنجى من السّفنِ

وصادفتنا سِـــهامُ كـلُّها غَرَضٌ　　ورحــمةٌ مـنكم أوقى من الجُنَنِ

هيهاتَ للخطبِ أن تسطو حوادِثُهُ　　بمن أجارتْهُ رحـماكم من المِحَنِ[٦٠]

ولا يُشْعَرُ مع هذه الأبيات ببراءة ما نُسِبَ إليه, ولم يعمد الشاعر لذكر أنّ في الغرض حسداً وكيْداً له, إلّا إلماحة بسيطة في قوله: (وصادفتنا سهام كلها غرض), وهذا لا يغني ولا يسمن من جوع فبإزاء كبر التهمة وعظمتها لابد ان يكون التبرير والدفاع بمثله صنوان, إن لم يكن أكبر, وردّ التهمة أعظم, ثم تأخذ أبياته بتذكير الخليفة بما كان الشاعر عليه, وبما كان عليه الخليفة من جود وكرم, غافلا عِظَمَ ما اتُّهم به, يقول: (من القصيدة نفسها)

فالثوبُ يطْهُرُ عند الغُسْلِ مِـن دَرَنٍ　　والطرفُ ينهضُ بعد الركضِ من سَنَنِ

أنتم بذلتم حـــــياة الخـلقِ كُلّهُمُ　　مـــن دون مَــنٍّ عليهم لا ولا ثمنِ

ونحنُ من بعضِ من أحيتْ مكارمكم　　كلتا الحياتين مــن نفسٍ ومـن بَدَنِ

وصبيةٍ كفراخ الوُرْقِ مـــن صغَرٍ　　لم يألفوا النوحَ فـــي فرعٍ ولا فننِ

قـــــد أوجدتْهم أيادٍ منكَ سابقةٍ　　والكـلُّ لولاكَ لم يــوجد ولــم يَكُنِ

يبدو أنّ الشاعر قد أثبت التهمة وأكّدها, لاسيما في قوله :

فالثوب يَطْهرُ عِنْدَ الغُسلِ من دَرَنٍ　　والطّرفُ ينهضُ بعدَ الركضِ مِن سَنَنِ

وربما كان هذا البيت وأخوه في البداية:

قـــــد أغرقتنا ذُنـوبٌ كُلُّها لُججٌ　　وعَـطفةٌ مـنكم أنجى من السّفنِ

العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

هما التأكيد على ما اتهم به, فكأنّه اعترف بالذنب, وبالفعل المنسوب إليه, فلا سبيل بعد ذلك للاستجابة للتحريض بالعفو والمسامحة؛ لأنّ التهمة كانت أعظم من ذلك التحريض, فما كان من الخليفة إلّا أن وقّعَ على القصيدة بقوله تعالى((الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِين))[٦١] إيذانا بقتله.

هكذا كان بعض التحريض السياسي عند الملوك والقادة في أغلب الاعصر السياسية في الأندلس, وهو تحريض مشتمل على الأسلوبين المباشر وغير المباشر, ومنها ما كانت له استجابة مثلى تبعا للموضوع السياسي الذي أنشا المبدعُ شعرَه فيه, في حين كان بعضها الآخر ممّا لم يستوجب ذلك, فكان حكم التحريض منفيّاً وعلى كلِّ حال يمكن أن تُبيِّنُ تلك الأشعار الصادرة من الملوك والامراء والقادة عن بعض ما شهدته الساحة السياسية في الأندلس إبّان حكم هؤلاء القادة الشعراء لمدنها وأصقاعها, وما رافقها من تحديات وأزمات, حاول الشعراء إصلاحها أو كادوا, وربّما أساءوا في أحيان وأحسنوا في أحايين أخرى، ((فالأدب بمجمله هو انعكاس للبيئة والأدب الأندلسي مثّلَ هذا الإنعكاس افضل تمثيل, فكان المرآة التي انعكست عليها أخبار العرب, وهواجسهم ومواقفهم ومشاعرهم ومراحلهم))[٦٢]الزمنية المختلفة, عَبْرَ الشعر المتضمِّن التحريض والحثّ على شيء معين, يخدم سياسةً, أو يتصل بنظام, مما يُبيّن وجهاً من أوجه حضارتنا العربية والإسلامية في صقعٍ جليل من أصقاع المعمورة (الأندلس).

الهوامش:

[١] _ينظر: العين, الخليل الفراهيدي, تح: د. مهدي المخزومي, د. ابراهيم السامرائي, مؤسسة دار الهجرة, ايران, ط٢, (١٤٠٩هـ): ١٠٣/٣.

[٢] _ ينظر العين , الخليل الفراهيدي: ٣/ ٣١.

[٣] _ ينظر : لسان العرب , ابن منظور: ٧/ ١٣٦.

[٤] _شعر التحريض السياسي في العصر العباسي الأول, د. كمال عبد الفتاح حسن, مجلة سر من رأى, مج ٤, ع ١١, (٢٠٠٨): ٥٤.

[٥] _ معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، د ط، (١٩٧٧): ٣٥٧/٣_٣٥٨.

[٦] _ ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي, د. شوق ضيف, دار المعارف, القاهرة، ط ١، د ت، ١٣_١٤.

[٧] _ الحيوان، تح: عبد السلام هارون, مطبعه مصطفى البابلي الحلبي, القاهرة, ط٢, (١٩٦٥) : ١٣٢/٣.

[٨] _ نقد الشعر ضبط وشرح: محمد عيسى منون, المطبعة المليجية, القاهرة, ط١, (١٩٣٤):١٤.

[٩] _ ينظر: تحليل النص الشعري, يوري لوتمان, تر: د. محمد فتوح احمد, دار المعارف, القاهره، دط، دت : ٢٢.

[١٠] _ ينظر: الشعر كيف نفهمه ونتذوقه, إليزابيث درو: ٢٩.

[١١] _ نفح الطيب, المقري التلمساني: ٢٦٥/١.

[١٢] _ قصّة الأندلس من الفتح إلى السقوط, د. راغب السرجاني, مؤسّسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة, القاهرة, ط١, (٢٠١١): ٥١/١.

[١٣] _ التوبة:(١١١).

[١٤] _ينظر: نفح الطيب: ٢٦٥/١.

[١٥] _ ينظر: الموجز في تاريخ الأدب العربي, د. حنّا الفاخوري, دار الجيل, بيروت, ط٣, (٢٠٠٣): ٣/ ١٧_١٨.

[١٦] _الحلة السيراء, ابن الأبّار القضاعي, تح: حسين مؤنس, دار المعارف, القاهرة, ط٢, (١٩٨٥): ٦٤/١.

[١٧] _ ينظر: الحلة السيراء: ٦٥/١.

[١٨] _ينظر:المصدر نفسه: ٦٦/١.

[١٩] _المصدر نفسه: ٤٢/٣_٤٣.

[٢٠] _ الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس_ دراسة في أدب السلطة, د. ابراهيم بيضون :١٥٨.

[٢١] _الحلة السيراء: ١/ ٤١.

[٢٢] _ الادب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة, د. أحمد هيكل, دار المعارف, القاهرة, د ط, (١٩٩٣) :٩٦.

[*] صدر البيت مضطرب عروضيا, وربما فات المحقق فزاد الكاف على (يفلتنّ) وبهذا اختلّت تفعيلة البسيط(مستفعلن), والأصل ربما هكذا : لايفلتنَّ , لتكون التفعيلة تامة صحيحة, فلا يضطرب الوزن ولا يتخلخل المعنى.

[٢٣] _الحلة السيراء: ٥٩/١_٦٠.

[٢٤] _ المصدر نفسه : ١/ ١٥٦.

[٢٥] _ ينظر : الحلة السيراء : ١٥٦/١.

[٢٦] _المصدر نفسه : ١٥٩/١.

[٢٧] _المصدر نفسه: ١٥٥/١.

[٢٨] _وهذا المعنى يتناصُّ مع قول "الشنفرى", إذ يقول: (الطويل)

لا تَقْبُروني إنّ قَـــبْرِي مُـحرّمٌ عَليكُم ولـــكن أبشِرِي أمَّ عامِرِي

إذا احْتَملوا رأسي وفي الرأسِ أكثَري وغودِرَ عِـــنْدَ المُلتَقى ثَمَّ سائرِي

هُنالِكَ لا أرجُـــو حـــياةً تَسُرُّنِي سَجِيسَ الليالي مُبْسَلاً بالجرائرِ

ديوان الشنفرى, تح: الدكتور إيميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي, بيروت ,ط٢, (١٩٩٦) :٤٨.

[٢٩] _ ينظر نفح الطيب: ٣٩٦/١ ومابعدها.

[٣٠] _ البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب, ابن عذاري, تح: بشار عواد معروف, محمد بشار عواد, دار الغرب الاسلامي, تونس, ط١, (٢٠١٣): ٢٦٧/٢. وقدّم ابن الأبّار للقصيدة بقوله: ((وللمنصور لمّا اشتدَّ سلطانه وملكه وتوالي ظفره كتب إلى صاحب مصر يتوعده:)) الأبيات, ينظر الحلة: ٢٧٥/١.

[٣١] _ ينظر: مكانة الشعر_ مقدمات في الأصول النفسية والفكرية للقصيدة, د. عادل عبد الله, دار الشؤون الثقافية, بغداد, ط١, (٢٠٠٩) :٤١.

[٣٢] _الحلة السيراء: ٢٧٦/١. وقد أورد محقق الحلة الدكتور حسين مؤنس عجز البيت الأخير هكذا: (ولكن عهدتُ اللهَ في كلِّ كافرِ) نقلا عن يتيمة الثعالبي, وربما هذه الرواية أوفق للنصّ فضلا عن تقدُّمِ المنصور الثعالبي زمنا عن ابن الأبّار. ينظر: هامش الصفحة المذكورة.

[٣٣] _ينظر : الحلة السيراء: ٢٦٩/١.

[٣٤] _المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٣٥] _ ينظر: الموجز في تاريخ الأدب الأندلسي والمغربي, د. هناء وحيد, دار الكتاب, دمشق, د ط, (١٩٨٩) :١٣٢.

[٣٦] _ ينظر تاريخ الأدب الأندلسي _عصر سيادة قرطبة, د. إحسان عباس, دار الثقافة, بيروت ط٢, (١٩٦٩) :١٣٥_١٣٦.

[٣٧] _ ينظر نفح الطيب: ٤٢٩/١.

[٣٨] _المصدر نفسه: ٤٢٩_٤٣٠.

[٣٩] _ ينظر: أنا الشعر_ دراسة في أساسات الشعر الجاهلي وصلاحيتها لعصور الشعر, د. محمد تقي جون, دار ومكتبه البصائر, بيروت, ط١, (٢٠١٢) :١٠٦.

[٤٠] نفح الطيب: ٤٣٠/١.

[٤١] _ ينظر النقد الادبي, د. أحمد أمين, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, د ط, (٢٠١٢) :٤٨.

[٤٢] _ نفح الطيب: ٤٣٨/١.

[٤٣] _ في الادب الاندلسي, د. جودة الركابي, دار المعارف, القاهر,ط٧ ٧, (٢٠٠٨) : ٢٣.

[٤٤] _ الحلة: ٢/ ٣٨.

[٤٥] _ المصدر نفسه : ٤٣/٢_٤٤.

[٤٦] _ الحلة السيراء: ٤٤_٤٥.

[٤٧] _المصدر نفسه: ٤٥/٢.

[٤٨] _ ينظر تأنيث القصيدة والقارئ المختلف, د. عبد الله الغذامي, المركز الثقافي العربي, بيروت ط١, (١٩٩٩) :١٠٣.

[٤٩] _الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ابن بسّام الشنتريني, تح: د. إحسان عباس. دار الثقافة, بيروت, دط, (١٩٩٧): قس٢ مج١/ ٨٣.

[٥٠] _ الذخيرة : قس٢ مج١/ ٨٥.

[٥١] _ ينظر: الحلة السيراء : ٢/٨٢_٨٣.

[٥٢] _ الذخيرة: قس٢ مج١/ ٨٩.

[٥٣] _ الحلة السيراء : ٢/١١١.

[٥٤] _ الذخيرة: قس٢ مج١/٨٠٤.

[٥٥] _ المصدر نفسه: قس٢ مج١/ ٨٠٥.

[٥٦] _ ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين, د. محمد مجيد السعيد, الدار العربية للموسوعات, بيروت, ط٣, (١٩٨٥) : ١٣.

[٥٧] _ الحلة السيراء: ٢/٢٠٠.

* الزراجين لقب أطلقه الموحدون على المرابطين تشبيهاً لهم بطائر أسود البطن, أبيض الريش. ينظر: هامش الأبيات: نفح الطيب: ٥/١٨٣

[٥٨] _ نفح الطيب: ٥/١٨٣_١٨٤.

[٥٩] نفح الطيب : ٥/ ١٨٤.

[٦٠] _ نفح الطيب: ٥/١٨٥.

[٦١] _ يونس: ٩١.

[٦٢] _ الشعر الاندلسي وصدى النكبات, د. يوسف عيد, دار الفكر العربي, بيروت, ط١. (٢٠٠٢) : ٩.

مصادر البحث ومراجعه:

القران الكريم

١_الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة, د. أحمد هيكل, دار المعارف, القاهرة, د ط, (١٩٩٣).

٢_الأدب العربي في الاندلس تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه، د. علي محمد سلامه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، (١٩٨٩).

٣_الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس_ دراسة في أدب السلطة, د. ابراهيم بيضون, دار النهضة العربية, بيروت, د ط, (١٩٨٧).

٤_أنا الشعر_ دراسة في أساسات الشعر الجاهلي وصلاحيتها لعصور الشعر, د. محمد تقي جون, دار ومكتبه البصائر, بيروت, ط١, (٢٠١٢).

٥_البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب, ابن عذاري, تح: بشار عواد معروف, محمد بشار عواد, دار الغرب الاسلامي, تونس, ط١, (٢٠١٣).

٦_تاريخ الأدب الأندلسي _عصر سيادة قرطبة, د. إحسان عباس, دار الثقافة, بيروت ط٢, (١٩٦٩).

٧_تأنيث القصيدة والقارئ المختلف, د. عبد الله الغذامي, المركز الثقافي العربي, بيروت ط١, (١٩٩٩).

٨_تحليل النص الشعري, يوري لوتمان, تر: د. محمد فتوح احمد, دار المعارف, القاهره, دط, دت.

٩_الحلة السيراء, ابن الأبّار القضاعي, تح: حسين مؤنس, دار المعارف, القاهرة, ط٢, (١٩٨٥).

١٠_الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي, محمد سعيد الدغلي, منشورات دار أسامة, عمّان, ط١, (١٩٨٣).

١١_الحيوان، الجاحظ , تح: عبد السلام هارون, مطبعه مصطفى البابلي الحلبي, القاهرة, ط٢, (١٩٦٥).

١٢_ديوان الشنفرى, تح: الدكتور إيميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي, بيروت ,ط٢, (١٩٩٦).

١٣_الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ابن بسّام الشنتريني, تح: د. إحسان عباس. دار الثقافة, بيروت, دط, (١٩٩٧).
١٤_الشعر الاندلسي وصدى النكبات, د. يوسف عيد, دار الفكر العربي, بيروت, ط١. (٢٠٠٢).
١٥_شعر التحريض السياسي في العصر العباسي الأول, د. كمال عبد الفتاح حسن, مجلة سر من رأى, مج ٤, ع ١١, (٢٠٠٨).
١٦_الشعر في عهد المرابطين والموحدين, د. محمد مجيد السعيد, الدار العربية للموسوعات, بيروت, ط٣, (١٩٨٥).
١٧_الشعر كيف نفهمه ونتذوقه, إليزابيث درو, تر: د. محمد ابراهيم الشوش, منشورات مكتبة منيمنة, بيروت, ط١,(١٩٦١).
١٨_العين, الخليل الفراهيدي, تح: د. مهدي المخزومي, د. ابراهيم السامرائي, مؤسسة دار الهجرة, ايران, ط٢, (١٤٠٩هـ).
١٩_فصول في الأدب الأندلسي, د. حكمت علي الأوسي, مطبعه بابل_ بغداد, ط ٥, (١٩٨٧).
٢٠_الفن ومذاهبه في الشعر العربي, د. شوق ضيف, دار المعارف, القاهرة، ط ١، د ت.
٢١_في الادب الاندلسي, د. جودة الركابي, دار المعارف, القاهر,ط٧ ٧, (٢٠٠٨).
٢٢_قصّة الأندلس من الفتح إلى السقوط, د. راغب السرجاني, مؤسّسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة, القاهرة, ط١, (٢٠١١).
٢٣_لسان العرب, ابن منظور, تعليق: اليازجي وجماعة من اللغويين, دار صادر, بيروت ط٣, (١٤١٤هـ).
٢٤_معجم البلدان، ياقوت الحموي, دار صادر ، بيروت، د ط، (١٩٧٧).
٢٥_مكانة الشعر_ مقدمات في الأصول النفسية والفكرية للقصيدة, د. عادل عبد الله, دار الشؤون الثقافية, بغداد, ط١, (٢٠٠٩).
٢٦_الموجز في تاريخ الأدب الأندلسي والمغربي, د. هناء وحيد, دار الكتاب, دمشق, د ط, (١٩٨٩).
٢٧_الموجز في تاريخ الأدب العربي, د. حنّا الفاخوري, دار الجيل, بيروت, ط٣, (٢٠٠٣).
٢٨_نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب, المقري التلمساني, تح: د. إحسان عباس, دار صادر , بيروت, دط, (١٩٦٨).
٢٩_النقد الادبي, د. أحمد أمين, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, د ط, (٢٠١٢).
٣٠_نقد الشعر, قدامة بن جعفر, ضبط وشرح: محمد عيسى منون, المطبعة المليجية, القاهرة, ط١, (١٩٣٤).